

## تفسير السعدي

@ 238 @ أوقدوا نارا للحرب أطفأها ا [ ] ويسعون في الأرض فسادا وا [ ] لا يحب المفسدين \*  
ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم \* ولو أنهم  
أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم  
أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ) ^ يخبر تعالى ، عن مقالة اليهود الشنيعة ،  
وعقيدتهم الفظيعة ، فقال : ^ ( وقالت اليهود يد ا [ ] مغلولة ) ^ أي : عن الخير والإحسان ،  
والبر . ^ ( غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ) ^ وهذا دعاء عليهم ، بجنس مقالتهم . فإن  
كلامهم متضمن لوصف ا [ ] الكريم ، بالبخل ، وعدم الإحسان . فجازاهم بأن كان هذا الوصف  
منطبقا عليهم . فكانوا أبخل الناس ، وأقلهم إحسانا ، وأسوأهم طنا با [ ] ، وأبعدهم عن  
رحمته ، التي وسعت كل شيء ، وملاأت أقطار العالم العلوي والسفلي . ولهذا قال : ^ ( بل  
يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ) ^ لا حجر عليه ، ولا مانع يمنعه ، مما أراد . فإنه تعالى  
، قد بسط فضله ، وإحسانه الديني والدنيوي ، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده ، وأن  
لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه ، بمعاصيهم . فیده سحاء الليل والنهار ، وخيره في  
جميع الأوقات مدرارا . يفرج كربا ، ويزيل غما ، ويغني فقيرا ، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا ،  
ويجيب سائلا ، ويعطي فقيرا عائلا ، ويجيب المضطرين ، ويستجيب للسائلين . وينعم على من لم  
يسأله ، ويعافي من طلب العافية ، ولا يحرم من خيره عاصيا . بل خيره ، يرتع فيه البر  
والفاجر ، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال . ثم يحمدهم عليها ، ويضيفها إليهم  
، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ، ما لا يدركه الوصف ، ولا يخطر على  
بال العبد . ويلطف بهم في جميع أمورهم ، ويوصل إليهم من الإحسان ، ويدفع عنهم من النقم  
ما لا يشعرون بكثير منه . فسبحان من كل النعم ، التي بالعباد ، فمنه ، وإليه يجأرون في  
دفع المكاره . وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه . وتعالى من  
لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين ، بل ولا وجود لهم ، ولا بقاء إلا بجوده . وقبح ا [ ] من  
استغنى بجهله عن ربه ، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله . بل لو عامل ا [ ] اليهود القائلين تلك  
المقالة ، ونحوهم ممن حاله كحالهم ، ببعض قولهم ، لهلكوا ، وشقوا في دنياهم . ولكنهم  
يقولون تلك الأقوال ، وهو تعالى ، يحلم عنهم ، ويصفح ، ويمهلهم ، ولا يهملهم . وقوله : ^  
( وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ) ^ . وهذا من أعظم العقوبات  
على العبد ، أن يكون الذكر الذي أنزله ا [ ] على رسوله ، الذي فيه حياة القلب والروح ،  
وسعادة الدنيا والآخرة ، وفلاح الدارين ، الذي هو أكبر منه ، امتن ا [ ] بها على عباده ،

توجب عليهم المبادرة إلى قبولها ، والاستسلام □ بها ، وشكراً □ عليها ، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه ، وطغيان إلى طغيانه ، وكفر إلى كفره . وذلك ، بسبب ، إعراضه عنها ، ورده لها ، ومعاندته إياها ، ومعارضته لها ، بالشبه الباطلة . ^ ( وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ) ^ فلا يتألفون ، ولا يتناصرون ، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم . بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم ، متعادين بأفعالهم ، إلى يوم القيامة . ^ ( كلما أوقدوا نارا للحرب ) ^ ليكيدوا بها الإسلام وأهله ، وأبدوا ، وأعادوا ، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم ^ ( أطفأها □ ) ^ بخذلانهم ، وتفرق جنودهم ، وانتصار المسلمين عليهم . ^ ( ويسعون في الأرض فسادا ) ^ أي : يجتهدون ويجدون ، ولكن بالفساد في الأرض . أي : يعمل المعاصي ، والدعوة إلى دينهم الباطل ، والتعويق عن الدخول في الإسلام . ^ ( □ يحب المفسدين ) ^ بل يبغضهم أشد البغض ، وسيجازيهم على ذلك . ثم قال تعالى : ^ ( ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ) ^ . وهذا من كرمه وجوده ، حيث لما ذكر قبائح أهل الكتاب ومعائبهم ، وأقوالهم الباطلة ، دعاهم إلى التوبة ، وأنهم لو آمنوا با □ وملائكته وجميع كتبه ، وجميع رسله ، واتقوا المعاصي ، لكفر عنهم سيئاتهم ، ولو كانت ما كانت ، ولأدخلهم جنات النعيم ، التي فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين . ^ ( ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ) ^ أي : قاموا بأوامرها ، كما نديهم □ وحثهم . ومن إقامتهما الإيمان بما دعوا إليه ، من الإيمان بمحمد صلى □ عليه وسلم وبالقرآن . فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة ، التي أنزلها ربهم إليهم ، أي : لأجلهم وللاعتناء بهم ^ ( لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ) ^ أي : لأدر □ عليهم